الكُلّابية

(أ) التعريف :

الكلابية فرقة تنتسب إلى أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب القطان البصري . ولقب كُلَّاباً لأنه كان يجتذب الخصم إليه بقوته في المناظرة ، كما يجتذب الكُلَّاب الشيء إليه . وكان رأس المتكلمين بالبصرة في زمنه [١] . وكان يرد على المعتزلة والجهمية ، وكانت له معهم مناظرات ومجادلات ، وهو الذي دمر المعتزلة في مجلس الخليفة المأمون وفضحهم ببيانه [٢] . وزعم البعض أنه أخو يحيى ابن سعيد القطان الحافظ العالم بالحديث النبوي ، وهذا غير صحيح [٣] . واتهم ابن كلاب بأنه ابتدع أقواله ليدخل دين النصارى في دين المسلمين إرضاء لأخته النصرانية لما اعترضت على إسلامه ، وقد كذب ذلك ابن تيمية [٤] والذهبي [٥] .

ولم تشر مصادر ترجمته إلى شيوخه ، وأما تلامذته فقد ذكر منهم الذهبي [٦] : داود الظاهري ، والحارث المحاسبي .

(ب) النشأة والتطور :

نشأت الكلابية على يد عبد الله بن سعيد بن كلاب الذي عاش في زمن شهد سطوة المعتزلة وتسلطهم واستمالتهم للخلفاء ، وبلغ ذلك ذروته في عهد الخليفة المأمون بن هارون الرشيد ، واستمر في عهد المعتصم والواثق إلى أن رفع الله هذا البلاء في زمن المتوكل . وقد وقعت مناظرات ومساجلات بين ابن كلاب وبين المعتزله والجهمية ، وأراد ابن كلاب نصرة عقيدة السلف الصالح بالطرق والبراهين العقلية والأصولية ، حتى عدَّه كثير من المؤرخين للفرق من متكلمة أهل السنة والجماعة .

---

(١) السير (١١/١٧٤) .
(٢) أصول الدين للبغدادي ص (٣٠٩) .
(٣) لسان الميزان (٣/٢٩١) ، إتحاف السادة المتقين (٢/٦) .
(٤) منهاج السنة (٢/٣٩٧) ، ودرء التعارض (٦/١٥٥) ، ومجموع الفتاوى (٥/٥٥٥ ، ٨/١١٥) .
(٥) السير (١١/١٧٥) .
(٦) السير (١١/١٧٥) .

قال المقدسي : « الكلابية أصحاب عبد الله بن كلاب ، مناظرهم ولسانهم وبدرهم » [١] .

وقال الشهرستاني : « حتى انتهى الزمان إلى عبد الله بن سعيد الكلابي ، وأبي العباس القلانسي ، والحارث بن أسد المحاسبي . وهؤلاء كانوا من جملة السلف ، إلا أنهم باشروا علم الكلام ، وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين أصولية » [٢] .

وهذان المذكوران - المحاسبي والقلانسي - وغيرهما ، هم من تلامذته الذين نشروا مذهبه ، إلى أن تلقف هذا المذهب في القرن الرابع الهجري كل من : أبي منصور الماتريدي المتوفى سنة (٣٣٣) ، وأبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٣٠) ، فنشرا أقوال ابن كلاب ، وأشاعاها ، وهكذا تطور المذهب الكلابي على أيدي هؤلاء ومن جاء بعدهم من الماتريدية والأشعرية ، وذلك كما في مسائل العلو والاستواء والرؤية وغيرها على النحو التالي :

(١) كان ابن كلاب مثبتًا للعلو والاستواء ، مثبتًا للرؤية ، بينما نفى الماتريدية والأشعرية صفة العلو ، وقالوا : إن الله لا داخل العالم ولا خارجه . وأولوا الاستواء بأنه الاستيلاء ، وأما بخصوص الرؤية فإنهم اشترطوا لها شروطًا مخترعة ، فقالوا : يرى بلا جهة ولا مسافة . بل إن بعض محققيهم صرحوا بأنه ليس بينهم وبين المعتزلة خلاف في مسألة الرؤية فإنها - عندهم - رؤية قلبية وليست بصرية .

(٢) في الإيمان : كان ابن كلاب يقول في الإيمان : إنه معرفة بالقلب وإقرار باللسان . ويرى صحة إيمان المقلد ، ويحكم له بالإسلام ، بينما يذهب جمهور الأشعرية والماتريدية إلى أن الإيمان تصديق بالقلب ، ولا يشترطون لزوم النطق باللسان . ويرى بعض منهم عدم صحة إيمان المقلد [٣] .

(٣) في القدر : كان ابن كلاب يثبت القدر في الجملة على طريقة أهل السنة والجماعة ، أما الأشعري فإنه أتى بعد ذلك بنظرية [٤] الكسب ، وهي أقرب ما تكون إلى مذهب الجبرية .

---

(١) البدء والتاريخ (٥/١٥٠) .

(٢) الملل والنحل (١/٨٥) .

(٣) انظر فتح الباري لابن حجر (١٣ : ٣٦٢) .

(٤) شرح المواقف (٨/١٤٥ ، ١٤٦) .

(ج) مصادر التلقي :

ذكرنا فيما سبق أن ابن كلاب أراد نصرة السنة ببراهين أصولية وحجج عقلية ؛ فلذا كان يقدم العقل على النقل في بعض المسائل ، قال السجزي : « فلما نبغ ابن كلاب وأضرابه وحاولوا الرد على المعتزلة من طريق مجرد العقل وهم لا يخبرون أصول السنة ولا ما كان السلف عليه ولا يحتجون بالأخبار الواردة ، ذلك زعمًا منهم أنها أخبار آحاد وهي لا توجب علمًا » [١] .

فمن ذلك : مسألة القرآن :

فقد كان الناس فريقين في شأن القرآن ، حيث ذهب أهل السنة إلى أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وذهب المعتزلة إلى أنه مخلوق ، فحاول ابن كلاب التوسط بين المذهبيين ، فأتى بقول ثالث تلفيق منهما ، فقال : « إن القرآن هو حكاية عن كلام الله » . مع أنه يقول : « إن كلام الله تعالى غير مخلوق » . وهو أول من أحدث القول ببدعة الكلام النفسي وأنكر الحرف والصوت ، وهذه البدعة لا دليل عليها من الشرع ، وإنما أتى بها لما ظنها دليلًا عقليًا لنصرة مذهب أهل السنة والجماعة [٢] .

بعض مسائل الصفات :

فقد صرف بعض النصوص في الصفات عن ظاهرها ، واستخدم التأويل العقلي ، وذلك في مثل صفة الأصابع لله تعالى ، فقد صرف النص عن ظاهره ، وأول الأصابع بأنها نعم الله تعالى ، فحديث : « **إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن ...**» [٣] فالإصبعان هنا نعمتان من نعم الله تعالى [٤] .

وأما عموم المسائل الأخرى فإنه قدم فيها النقل على العقل . ومما يدل على ذلك إثباته للصفات الخبرية ، كالوجه والعين واليد ، والصفات الفعلية ، كالعلو

---

(١) الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي (ص ٨١) .

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣) مسلم ، كتاب القدر ، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء (٢٠٤٥/٤ ح ٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو .

(٤) طبقات الحنابلة (١٣٣/٢) .

والاستواء . فقد قال بعد كلامه عن تقرير صفة العلو : فكيف يكون الحق في خلاف ذلك والكتاب ناطق به وشاهد له [١] .

أما من اتبعوا طريقته فقد توسعوا في استعمال العقل حتى قدموه على النقل في أكثر المسائل ، ويدل على ذلك إنكارهم للصفات الخبرية ، كالوجه والعين واليدين ، وكذلك الصفات الفعلية ، كالعلو والاستواء وغيرها ، وكثير من هؤلاء ممن انتسب إلى الأشعري والماتريدي . وسأنقل هنا قولاً لأحد أئمة الماتريدية في بيان منهجهم ، ثم أتبعه بقول لأحد أئمة الأشعرية توضح منهجهم كذلك في التلقي :

(١) **قال الزبيدي الماتريدي** : « إن الشرع إنما ثبت بالعقل ... ، فلو أتى الشرع بما يكذبه العقل وهو شاهده لبطل الشرع والعقل معًا . إذا تقرر هذا فنقول : كل لفظ يرد في الشرع ... وهو مخالف للعقل ... إما أن يتواتر أو ينقل آحادًا ، والآحاد إن كان نصًا لا يحتمل التأويل قطعنا بافتراء ناقله أو سهوه أو غلطه ، وإن كان ظاهرًا فظاهره غير مراد ، وإن كان متواترًا فلا يتصور أن يكون نصًّا لا يحتمل التأويل ، بل لا بد وأن يكون ظاهرًا ... » [٢] .

(٢) **قال الرازي الأشعري** : اعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك ، فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة :

(أ) إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين ، وهو محال .

(ب) وإما أن يبطل فيلزم تكذيب النقيضين ، وهو محال .

(ج) وإما أن يصدق الظواهر النقلية ويكذب الظواهر العقلية ، وذلك باطل ؛ لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ وظهور المعجزات على محمد ﷺ ، ولو جوزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية ، صار العقل متهمًا غير

---

(١) درء التعارض (١٩٤/٦) ونقله عن ابن فورك .

(٢) شرح الإحياء للزبيدي (١٠٥/٢ ، ١٠٦) ، وانظر أصل هذا القانون الكلي في تبصرة الأدلة (ص ٥٤) ، والنور اللامع (ص ٨٠ ، ٨١) .

مقبول القول ، ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول ، وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة ، فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معًا وأنه باطل ، ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال : إنها غير صحيحة ، أو يقال : إنها صحيحة ، إلا أن المراد منها غير ظواهرها ... [(١)] .

والحاصل : أن عامة المتبعين لابن كلاب من المتأخرين يجعلون العقل أصل التلقي في مسائل الإلهيات ويجعلون النقل تابعًا ، ثم إن أهل التصوف منهم يضيفون الكشف والذوق كمصادر للتلقي ، فيقدمونها على النص ، ويؤولون النص ليوافقهم [(٢)] .

وكل هذه الطرق مخالفة للحق الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم . والواجب تقديم النص والنقل على ما عداه ، فإنه وحي الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وأما العقل فإنه يخطئ ويصيب ، ولا يجوز جعله عمدة التلقي فضلًا عن تقديمه على النقل والنص . والنص حجة بين الإنسان وبين ربه عز وجل ، فالواجب تقديمه على كل ما سواه ، وجعله العمدة في التلقي ، وما سواه فإنه له تابع وشاهد فقط .

(د) الأصول والمبادئ :

لقد وافق ابن كُلَّاب أهل السنة والجماعة في بعض أصوله ، وخالفهم في بعضها الآخر . وسوف أقتصر فقط على ابن كُلَّاب دون المنتسبين إليه الذين لحق بعضهم بالماتريدي وبعضهم بالأشعري . ونظرًا لعدم وجود كتب لابن كُلَّاب ، فسأنقل عنه من خلال المصادر التي ذكرت أقواله كمقالات الأشعري وغيرها .

أولًا : الأصول التي وافق فيها ابنَ كُلَّاب أهل السنة والجماعة :

(١) إثبات الأسماء الحسنى لله تعالى :

---

(١) أساس التقديس للرازي (ص ١٦٨ ، ١٧٣) .

(٢) الرسالة اللدنية للغزالي ضمن مجموعة القصور العوالي (١/١١٤ - ١١٨) .

فيقول : لم يزل الله تعالى عالمًا ، قادرًا ، حيًا ، سميعًا ، بصيرًا ، عزيزًا ، عظيمًا ، جليلًا ، متكبرًا ، جبارًا ، كريمًا ، جوادًا ، واحدًا ، صمدًا ، فردًا ، باقيًا ، ربًا ، إلهًا ، مريدًا ، كارهًا ، راضيًا عمن علم أنه يموت مؤمنًا وإن كان أكثر عمره كافرًا ، ساخطًا على من علم أنه يموت كافرًا وإن كان أكثر عمره مؤمنًا ، محبًا ، مبغضًا ، مواليًا ، معاديًا ، قائلًا ، متكلمًا ، رحمانًا [1] .

(٢) في الصفات :

(أ) الصفات الخبرية :

يثبت ابن كُلَّاب بعض الصفات الخبرية ، كالوجه واليد والعين والحياة والسمع والبصر والقدرة ، فيقول : « أطلق اليد والعين والوجه خبرًا ؛ لأن الله أطلق ذلك ، ولا أطلق غيره ، فأقول : هي صفات الله عز وجل ، كما قال في العلم والقدرة والحياة أنها صفات » [2] .

وقال : « بعلم ، وقدرة ، وحياة ، وسمع ، وبصر ، وعزة ، وعظمة ، وجلال ، وكبرياء ، ووجود ، وكرم ، وبقاء ، وإرادة ، وكراهة ، ورضى ، وسخط ، وحب ، وبغض ، وموالاة ، ومعاداة ، وقول ، وكلام ، ورحمة ، وأنه قديم لم يزل بأسمائه وصفاته » [3] .

ويقول أيضًا : « معنى أنه عالم : أن له علمًا ، ومعنى أنه قادر : أن له القدرة ، ومعنى أنه حي : أن له حياة ، وكذلك القول في سائر أسمائه وصفاته » [4] .

(ب) الصفات الفعلية :

يثبت ابن كُلَّاب بعض الصفات الفعلية ، كالاستواء والعلو ، فيقول في كتاب الصفات : « فرسول الله ﷺ وهو صفوة الله من خلقه ، وخيرته من بريته ، وأعلمهم

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (ص ١٦٩) ط . ريتر .

(٢) مقالات الإسلاميين (ص ٢١٧ - ٢١٨) .

(٣) مقالات الإسلاميين (ص ١٦٩) .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

جميعاً به ، يجيز السؤال بأين وبقوله ، ويستصوب قول القائل : إنه في السماء ، ويشهد له بالإيمان عند ذلك ، وجهم بن صفوان وأصحابه لا يجيزون الأين زعموا ، ويحيلون القول به ، ولو كان خطأ كان رسول الله ﷺ أحق بالإنكار له ، وكان ينبغي أن يقول لها : لا تقولي ذلك فتوهمين أن الله عز وجل محدود ، وأنه في مكان دون مكان ، ولكن قولي : إنه في كل مكان ؛ لأنه الصواب دون ما قلت ، كلا ، لقد أجازه رسول الله ﷺ مع علمه بما فيه وأنه أصوب الأقاويل ، والأمر الذي يوجب الإيمان لقائله ، ومن أجله شهد لها بالإيمان حين قالته ، فكيف يكون الحق في خلاف ذلك ؟ والكتاب ناطق به وشاهد له » (١) .

وقال ابن كُلَّاب أيضًا : ولو لم يشهد لصحة مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الفن خاصة إلا ما ذكرنا من هذه الأمور لكان فيه ما يكفي ، كيف وقد غرس في بنية الفطرة ومعارف الآدميين من ذلك ما لا شيء أبين منه ولا أوكد ؟ لأنك لا تسأل أحدًا من الناس عنه ، عربيًا ولا عجميًا ، ولا مؤمنًا ولا كافرًا ، فتقول : أين ربك ؟ إلا قال : في السماء ، إن أفصح ، أو أومأ بيده أو أشار بطرفه إن كان لا يفصح ، ولا يشير إلى غير ذلك من أرض ولا سهل ولا جبل ، ولا رأينا أحدًا داعيًا له إلا رافعًا يديه إلى السماء ، ولا وجدنا غير الجهمية يسأل عن ربه فيقول : في كل مكان - كما يقولون - وهم يدَّعون أنهم أفضل الناس كلهم ، فتاهت العقول ، وسقطت الأخبار ، واهتدى جهم وحده وخمسون رجلًا معه ، نعوذ بالله من مضلات الفتن (٢) .

وأما الاستواء فإنه يقول : فنحن لا نحتشم أن نقول : استوى الله على العرش ، ونحتشم أن نقول استوى على الأرض ، واستوى على الجدار وفي صدر البيت (٣) .

ويرى ابن كُلَّاب أن استواء الله تعالى على العرش بلا مماسة (٤) .

---

(١) درء التعارض (١٩٣/٦ ، ١٩٤) ، ونقله عن ابن فورك .

(٢) نفس المصدر السابق (١٩٤/٦) .

(٣) نفس المصدر (١١٩/٦ ، ١٢٠) .

(٤) أصول الدين للبغدادي (ص ١١٣) .

(٣) في الرؤية :

يثبت ابن كُلَّاب رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى بأبصارهم في الجنة ، ولا يرى مانعًا عقليًا من ذلك ، بالنظر إلى أن كل قائم بنفسه يرى [٤] .

(٤) في الإيمان :

يوافق ابن كُلَّاب أهل السنة والجماعة في الحكم بصحة إيمان المقلد ، وكذلك يوافق أهل السنة أيضًا في شأن مرتكب الكبيرة ، وأنه فاسق لم يخرج من الإيمان ، وإنما هو تحت المشيئة الإلهية ، فإن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له [٥] .

غير أنه يأخذ اتجاهًا مخالفًا لأهل السنة في تعريف الإيمان ، كما سترى ذلك فيما بعد - إن شاء الله - ضمن الأصول التي خالف فيها أهل السنة .

(٥) القدر :

يثبت ابن كُلَّاب أن الخير والشر بإرادة الله تعالى ، وأن ما يقع في الكون بمشيئة الله وإرادته ، وأن أفعال العباد من خير وشر خلق لله تعالى .

يقول ابن كُلَّاب : أقول في الجملة : إن الله أراد حدوث الحوادث كلها خيرها وشرها ، ولا أقول في التفصيل : إنه أراد المعاصي ، وإن كانت من جملة الحوادث التي أراد حدوثها . كما أقول في الجملة عند الدعاء : يا خالق الأجسام . ولا أقول : يا خالق القرود والخنازير والدم والنجاسات ، وإن كان هو الخالق لهذه الأشياء كلها [١] .

---

(١) المجرد لابن فورك (ص ٣٣٣) ، وأصول الدين للبغدادي (ص ٩٧) ، والأشعري في المقالات (ص ٢٩٨) ، وابن تيمية في منهاج السنة (٢٥٤/٣) .

(٢) المقالات للأشعري (ص ٢٩٣ ، ٢٩٨) .

(٣) أصول الدين للبغدادي (ص ١٠٤) .

ثانيًا : الأصول التي خالف ابن كلاب فيها أهل السنة والجماعة :

(١) في الصفات :

فابن كُلَّاب وإن وافق السلف فى إثبات صفات الذات ، لكنه خالفهم فنفى الصفات والأفعال الاختيارية ، مثل : الرضى والغضب والمحبة والكرم ، بل جعل كل هذه الصفات ذاتية أزلية ، تمامًا كصفات السمع والبصر ؛ وذلك لأنه ينفي الصفات والأفعال الاختيارية ، لأنه يرى أن في إثباتها إقرارًا بحلول الحوادث في ذات الله تعالى ، كذلك روي عنه التأويل في بعض الصفات ، حيث أوَّل الأصابع بالنعمة .

(٢) في مسألة القرآن والكلام الإلٰهي :

فعلى الرغم من إقرار ابن كُلَّاب بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، لكنه أتى ببدعة عجيبة ، وهي أن القرآن إنما هو حكاية عن كلام الله تعالى ، وأتى ببدعة الكلام النفسي الذي ليس بحرف ولا صوت [١] ، وقال : إن الكلام الإلهي قائم بذات الله ، تمامًا كما أن القدرة قائمة به ، والعلم قائم به ، وأن كلام الله تعالى لا ينقسم ولا يتبعض ، وليس بحروف وصوت ، وأنه معنى واحد بالله عز وجل ، وأن رسم القرآن يتغاير ، ولكن كلام الله نفسه لا يتغاير ولا يتجزأ ، وأنه معنى واحد ، وإنما يسمى أمرًا لعلة ، ونهيًا لعلة ، وخبرًا لعلة ، وأن كلامه تعالى لا يتصف بالأمر والنهي والخبر أزلًا ، بل يرى أن هذه الأمور حادثة مع قدم الكلام الإلهي نفسه ، وهكذا يطول كلامه في شأن القرآن ، لكنه إن وافق أهل السنة في جزء من كلامه فقد خالفهم في كثير مما يتعلق بصفة الكلام ، كما يتضح ذلك مما نقلناه [٢] .

(٣) قوله بالموافاة :

ومعناها أن الله لم يزل راضيًا عمن يعلم أنه يموت مؤمنًا ، وإن كان أكثر عمره كافرًا ، ولم يزل ساخطًا على من يعلم أنه يموت كافرًا ، حتى وإن كان أكثر عمره

---

(١) الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي (ص ٨١) ، و(ص ١٧٨) .

(٢) المقالات للأشعري (ص ٢٩٨ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥) ، المجرد لابن فورك (ص ٦٠) ، مجموع الفتاوى (٢٧٢/١٢) ، التسعينية لابن تيمية (ص ٨٧) ، مختصر الصواعق (٢٩٠/٢) ، أصول الدين للبغدادي (ص ١٠٨) ، الإرشاد للجويني (ص ١١٩) ، نهاية الإقدام للشهرستاني (ص ٣٠٣) .

مؤمنًا . ويفهم من ذلك أن الرضى عن المؤمن - الذي كان كافرًا - بعد السخط عليه لا يكون أبدًا ؛ حتى لا يقول : إن الله حدث له أمر لم يكن موجودًا من قبل[١] .

(٤) في الإيمان :

يذهب ابن كُلَّاب إلى تعريف الإيمان بأنه الإقرار باللسان والمعرفة . وهو بهذا يخالف جماهير أهل السنة والجماعة ، فإن الإيمان عند السلف - أهل السنة والجماعة - تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح [٢] - فهم يجعلون الأعمال داخلة في مسمى الإيمان ، أما ابن كُلَّاب فيخالفهم في ذلك ، وإن كان يوافق في مسألة صحة إيمان المقلد ومرتكب الكبيرة كما سبق الكلام عنه .

وكذلك له قول آخر عجيب في صفات الذات ، وهو أن صفات الباري سبحانه وتعالى لا تتغاير ، وأن العلم لا هو القدرة ولا غيرها ، وكذلك كل صفة من صفات الذات لا هي الصفة الأخرى ولا غيرها [٣] .

وهو بهذا يقترب من قول النفاة من المعتزلة ، كأبي الهذيل العلاف المعتزلي ، فإن الأشعري لما نقل مقالة أبي الهذيل في صفات الذات ، وأن الصفة منها لا يقال فيها هي الأخرى ولا هي غيرها ، قال الأشعري : وهذا نحو ما أنكر من قول عبد الله ابن كُلَّاب [٤] .

(هـ) أشهر الرجال والفرق :

أولاً : أشهر الرجال :

قام تلامذة لعبد الله بن كُلَّاب بنشر مذهبه والانتصار له والذب عنه ؛ لذلك سُمُّوا الكُلَّابية ، وأشهر هؤلاء التلاميذ هم :

(أ) الحارث بن أسد المحاسبي البغدادي ، أبو عبد الله :

ولد بالبصرة عام ١٦٥ هـ تقريبًا ، وانتقل إلى بغداد فعاش بها ، وكان المحاسبي

---

(١) المقالات للأشعري (ص ٢٩٨ ، ٥٤٧) ، المجرد لابن فورك (ص ٤٥) .

(٢) أصول الدين للبغدادي (ص ١٠٤ ، ١٤٩) ، وطبقات السبكي (١/٩٥) .

(٣) المقالات (ص ١٧٠ ، ٥٤٦) .

(٤) المقالات (ص ١١٧) .

مشهورًا بالتصوف ، وكان يرى كفر المعتزلة ، وكان على خلاف مع أبيه الذي نسب إلى القول في القدر بقول المعتزلة ، حتى إن الحارث دعاه إلى تطليق أمه ، ولما مات لم يأخذ من تركته شيئًا .

وكان الحارث على صلة بأهل الحديث ، وروى عن بعضهم ، لكنه انشغل بالتصوف والكتابة في شأن التصوف حتى نقم عليه أهل الحديث ، ومنهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى .

وقد اهتم المحاسبي اهتمامًا كبيرًا بإصلاح القلب والنية والعمل ، وصنف في ذلك التصانيف الكثيرة ، واهتم به جدًا ، وكان مع ذلك يأمر باتباع الكتاب والسنة ولزوم حدودهما ، ويحذر من مخالفتهما جدًا ، غير أنه انتقد بعض أهل الحديث والفقه بما لا يتابع ولا يوافق عليه بحال . وقد وافق الحارث أهل السنة في إثبات الصفات الإلهية على الجملة ، وكذلك إثبات أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ، كذلك فإنه انتصر بشدة لإثبات صفة العلو والاستواء ، ورد على الحلولية ردًا موسعًا قويًا ، وكذلك وافق أهل السنة في إثبات الشفاعة ، وفي مسألة مرتكب الكبيرة ، وشنع بشدة على المعتزلة ووصفهم بالضلال .

غير أنه قد روي عنه أقوال في شأن الصفات والأفعال الاختيارية يوافق فيها ابن كُلَّاب ، بما يعني نفي الصفات والأفعال الاختيارية ، إذ حكم بأزلية الصفات جميعها ، وله نصوص في ذلك يرجع إليها في مواضعها (١) .

وقد ذكر غير واحد أنه وافق ابن كُلَّاب في هذه المقالات ونحوها (٢) . وتوفي الحارث بن أسد المحاسبي ببغداد في عام ٢٤٣ هـ (٣) .

---

(١) فهم القرآن للمحاسبي (ص ٢٦٣ ، ٣٠٧ ، ٣٤٠ - ٣٤٦ ، ٣٧٠) .

(٢) المنهاج لابن تيمية (١/٢١٧ ، ٢١٨) ، والموافقة له أيضًا (٢ ص ١٣٠، ٣ ص ٢٣٩) ، وأصول الدين للبغدادي (ص ٢٢٢ ، ٢٥٤) ، وإشارات المرام للبياضي (ص ٢١٤ ، ٢٥٣) ، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للنشار (١/٣٣١) .

(٣) لترجمته انظر : الحلية (١٠/٧٣) ، تاريخ بغداد (٨/٢١١) ، الأنساب (١٢/١٠٣) ، طبقات السبكي (٢/٢٧٥) ، تهذيب الكمال للمزي (٥/٢٠٨) ، السير للذهبي (١٢/١١٠) ، تهذيب التهذيب (٢/١٣٤) ، البداية والنهاية (١٠/٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٤٥) وغيرها .

(ب) أبو العباس القلانسي :

تاريخ ولادة القلانسي غير محدد على وجه الدقة ؛ وذلك لأن كتب التراجم لم تهتم بترجمته كثيراً ، وكذلك تاريخ وفاته ، لكن المؤكد أنه كان معاصرًا لأبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى [١] .

وقد اتفق القلانسي مع ابن كُلَّاب في أكثر المسائل التي انفرد بها عن جمهور أهل السنة ، ومنها قوله : إن الله قديم بقدم هو قائم به . خلافًا للأشعري القائل بأنه قديم لذاته [٢] . وقد أجاز وجود الكلام لما ليس بحي ، وذلك خلافًا للأشعرية الذين جعلوا الحياة شرطًا للكلام [٣] . وله أقوال أخرى في مسائل وافق فيها ابن كُلَّاب .

وقد نسبه إلى الكُلَّابية جماعة ، منهم البغدادي في أصول الدين ، ومنهم الشهرستاني ، ومنهم ابن تيمية رحمه الله تعالى .

لكن يرى ابن تيمية أن القلانسي كان أقرب إلى أهل السنة من كُلَّابية خراسان ، فيقول : « كما أن العراقيين المنتسبين إلى أهل الإثبات من أتباع ابن كُلَّاب ، كأبي العباس القلانسي ، وأبي الحسن الأشعري ، وأبي الحسن علي بن مهدي الطبري ، والقاضي أبي بكر بن الباقلاني وأمثالهم أقرب إلى السنة ، وأتبع لأحمد بن حنبل وأمثاله من أهل خراسان المائلين إلى طريقة ابن كُلَّاب » [٤] . فهذان الشيخان هما أشهر تلاميذ مدرسة ابن كُلَّاب الكلامية المذكورة .

وهناك تلاميذ آخرون لهذه المدرسة ، لكنهم ليسوا كهذين في الشهرة ، ولعل أبا الحسن الأشعري رحمه الله أشهر من سلك طريقة ابن كُلَّاب في كثير من مسائلها ، لكن هذا كان في الطور الثاني من مراحله الفكرية ، إلا أنه استقر في طوره الثالث والأخير على عقيدة أهل السنة ؛ ولهذا فإننا لن نتكلم هنا عن الأشعري .

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص ٣٩٨) .

(٢) أصول الدين للبغدادي (ص ٨٩) .

(٣) المصدر السابق (ص ٢٩) .

(٤) الملل والنحل (٨٩/١) .

قال الشهرستاني : وأبو الحسن الأشعري لما رجع عن مذهب المعتزلة سلك طريقة ابن كُلَّاب [١] . لكن كما ذكرنا فإنه استقر في آخره على عقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالى .

ثانياً : الفرق :

لقد اندثر اسم كُلَّاب - أو كاد - ولم يعد له وجود كاسم إلا في كتب التاريخ والفرق ، لكن المبادئ والأصول استمرت في أتباع أبي الحسن الأشعري وأتباع أبي منصور الماتريدي ، الذين طوروا كثيراً من تلك الأصول .

(و) الانتشار في العصر الحاضر :

كما ذكرنا فإن الأشعرية والماتريدية هم الذين تلقفوا أصول الكُلَّابية وطوروها وزادوا عليها ، فحيثما وجد الأشعرية والماتريدية فهم حاملوا أصول الكُلَّابية . ومن المعلوم أن كثيراً من الشافعية والمالكية في الأزمنة المتأخرة هم من الأشعرية ، وكثيراً من الحنفية هم من الماتريدية . وهذا موجود في أكثر البلدان الإسلامية ، بما فيها من جامعات إسلامية ومعاهد علمية ، حيث سيطر عليها الأشعرية والماتريدية ، فجعلوا مناهج دراسة العقائد هي المناهج الكلامية ، بل وأصبح علم التوحيد نفسه عندهم يسمى علم الكلام ، وأطلقوا على علمائهم الأشعرية والماتريدية لقب أهل السنة ، فهم أصحاب السنة عندهم ، وأما السلف الصالح فهم الحشوية والمجسمة ، إلى غير ذلك من هذه الألقاب ، فالله المستعان .

(ز) التقويم :

للإنصاف يمكننا القول بأن ابن كُلَّاب أقرب إلى أهل السنة من متأخرة الأشعرية ؛ ولذلك عدَّه كثير من أهل العلم من متكلمة أهل السنة ، والرجل كان من أهل الإثبات في الصفات ، وإنما وقع فيما وقع فيه من مخالفات حين أراد نصرة مذهب السلف بالأدلة العقلية فوقع فيما وقع فيه . فهم - أي الكُلَّابية - أقرب

---

(١) الملل والنحل (٨٩/١) .

المتكلمين إلى أهل السنة ، ولكن على الرغم من ذلك فقد أنكر كثير من السلف عليهم إنكارًا شديدًا ، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، فقد حذر منهم ، وكان له مواقف مشهورة من الحارث المحاسبي ، مردها إلى خوض هذا الأخير في علم الكلام ، وقد ذكر ذلك المترجمون للمحاسبي [١] .

وممن أنكر عليهم كذلك الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله تعالى ، الذي أنكر بشدة على اثنين من تلاميذه كانا يقولان بمذهب ابن كلَّاب : أن الله تعالى لا يتكلم إذا شاء متى شاء وأن كلامه أزلي . فوقعت بينه وبينهما خصومة شهيرة ، واستتابهم من أقوالهم هذه [٢] .

وممن أنكر عليهم أبو عبد الرحمن السلمي ، الذي كان يلعن الكُلَّابية [٣] . ومنهم أبو نصر السجزي ، وكان يلعن الكُلَّابية [٤] ، وغيرهما [٥] .

(ح) مراجع للتوسع :

(١) مقالات الإسلاميين . لأبي الحسن الأشعري .

(٢) الكُلَّابية وأثرها في المدرسة الأشعرية . رسالة دكتوراه في كلية أصول الدين ، قسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر بالقاهرة .

(٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة . د . عبد الرحمن بن صالح المحمود .

(٤) فهم القرآن . للحارث المحاسبي .

(٥) درء تعارض العقل والنقل . لابن تيمية .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) تاريخ بغداد (٢١٤/٨) ، ميزان الاعتدال (٤٣٠/١) ، الكامل في التاريخ (٨٤/٧) ، تلبيس إبليس (ص ١٦٢) .

(٢) درء التعارض (٧٧/٢) ، والسير (٣٧٧/١٤) .

(٣) نقلاً عن درء التعارض (٨٢/٢) .

(٤) رسالة الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص ٨٧ ، ٨٨) .

(٥) درء التعارض (٨٣/٢) .

فهرس الموضوعات

الموضوع رقم الصفحة